التأثيراتُ العربيَّةُ الإسلاميَّةُ على الممالك الإفريقية (جنوبِ الصحراءِ) في الجانبِ العمرانيّ

د. عليّ بالقاسمِ راشدِ الحرابِي

قسمِ التاريخِ في كليةِ الآدابِ – جامعةِ بنغازي- ليبيا

Ali.alharabi9@gmail.com – ali.elhrabi@uob.edu.ly

استلمت الورقة بتاريخ 2025/06/31، وقبلت بتاريخ 2025/07/10، ونشرت بتاريخ 2025/07/12

الكلمات المفتاحية: التأثيرات - العُمرَان إفْرِيقيَا الإسْلَامِيَّةِ - التفاعُل

الملخص

يَتَنَاوَلُ هَذَا البَحْثُ تَأثِيرَ المُسْلِمِينَ عَلَى المَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي إِفْرِيقِيَا جَنُوبَ الصَّحْرَاءِ مِنَ النَّاحِيَةِ العُمْرَانِيَّةِ، حَيْثُ سَاهَمَ انْتِشَارُ الإِسْلَامِ فِي إِحْدَاثِ تَحَوُّلَاتٍ مِعْمَارِيَّةٍ بَارِزَةٍ تَمَثَّلَتْ فِي بِنَاءِ المَسَاجِدِ، وَتَخْطِيطِ المُدُنِ، وَتَطْوِيرِ المَرَاكِزِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، الَّتِي تَعْكِسُ التَّفَاعُلَ بَيْنَ الثَّقَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالبِيئَةِ المَحَلِّيَّةِ، مَعَ الإِشَارَةِ إِلَى شَخْصِيَّاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ كَانَ لَهَا دَوْرٌ فِي هَذِهِ النَّهْضَةِ العُمْرَانِيَّةِ.

سَوْفَ يَعْتَمِدُ البَحْثُ عَلَى المَنْهَجِ التَّارِيخِيِّ، مِنْ خِلَالِ تَتَبُّعِ الأَحْدَاثِ وَالوَقَائِعِ وَتَفْسِيرِهَا اعْتِمَادًا عَلَى مَصَادِرَ تَارِيخِيَّةٍ مُوْثُوقَةٍ، بِهَدَفِ فَهْمِ تَطَوُّرِ العُمْرَانِ فِي هَذِهِ المَمَالِكِ فِي سِيَاقِهِ الزَّمَنِيِّ وَالثَّقَافِيِّ.

المقدمة

يُعتبر العُمرانُ من أَهمِّ أَوجهِ الحضارةِ، فالشعوبُ يُقاسُ تقدُّمُها الاقتصاديُّ والاجتماعيُّ والسياسيُّ بالنهضةِ العمرانيةِ التي تَشهَدُها، والانتقالِ من بيئةٍ سكنيةٍ بدائيةٍ إلى بيئةٍ أكثرَ حداثةً. فالتطورُ العمرانيُّ يدلُّ على الاستقرارِ والازدهارِ.

وقد شهدت إفريقيا جنوبَ الصحراءِ نوعًا من العُمرانِ في فترات متعاقبة من تاريخها ، وإنْ كانَ بدائيًا في نَشأتِهِ، ثم أَخَذَ في التطوُّرِ حسبَ تطوُّرِ كُلِّ جماعةٍ بشريةٍ أو قبيلةٍ إفريقيةٍ، حتى جاءَ الإسلامُ فبدأتْ تَظهَرُ الصبغةُ الإسلاميةُ على العُمرانِ في هذه المناطقِ التي تسكنُها تلك الجماعاتُ البشريةُ. وهي، بطبيعةِ الحالِ، تُغايرُ إلى حدٍّ كبيرٍ ما كانَ سائدًا في السابقِ.

الخلفية التاريخية

لهذا الموضوعِ خلفيةٌ تاريخيةٌ موغلةٌ في القِدمِ، فالإنسانُ منذ بدءِ الخليقةِ كانَ يبحثُ عن المَأوَى ليُقيمَ فيهِ، حتى يقيَ نفسَهُ بردَ الشتاءِ وحرارةَ الصيفِ. ولهذا كانَ الإنسانُ ميّالًا بطبيعتِهِ إلى الاستقرارِ، غيرَ أنّ هذا الاستقرارَ أَخَذَ فترةً من الزمنِ حتى ظهرتِ المجتمعاتُ المدنيةُ المتكاملةُ في صورِها المختلفةِ، مثلَ الدولِ والممالكِ. وهذا ما كانَ في ممالكِ والدولِ الإسلاميةِ التي ظهرتْ في إفريقيا جنوبَ الصحراءِ، حيثُ كانَ للطابعِ الإسلاميّ في الجانبِ العمرانيّ بصمةٌ واضحةٌ بعدما كانَ العُمرانُ في هذه المناطقِ بدائيًا.

أهمية الدراسة

تتمثَّلُ أهميةُ دراسةِ التأثيرِ العربيّ الإسلاميّ على المجتمعاتِ الإفريقيةِ في المجالِ العمرانيّ في كونهِ صورةً من صُورِ الإبداعِ الإسلاميّ، وتأكيدًا على أنَّ العربَ المسلمينَ كانوا رُسُلَ حضارةٍ. فقد أسهمتْ هذهِ الحضارةُ في نَهضةِ المناطقِ الإفريقيةِ التي وصلَها الإسلامُ عمرانيًّا، فظهرتِ المُدنُ الكبيرةُ في أجزاءٍ من وسطِ وغربِ وشرقِ القارةِ - جنوبِ الصحراءِ -. وانتشرتْ في هذهِ المُدنِ البيوتُ، والأسواقُ، والمساجدُ، والمدارسُ، والمرافقُ الأخرى ذاتُ الصبغةِ الإسلاميةِ، التي كانَ للعربِ المسلمينَ دورٌ كبيرٌ في إنشائِها وازدهارِها.

أسباب اختيار الموضوع

لا شكَّ أنَّ اختيارَ مثلِ هذهِ المواضيعِ يُعطي زَخَمًا كبيرًا لدراسةِ التاريخِ الإسلاميّ في إفريقيا وتأثيراتِ ذلكَ على المجتمعاتِ الإفريقيةِ، لا سيما في المجالِ العمرانيّ، الذي يُمثِّلُ إرثًا عظيمًا يَبقى شاهدًا على وصولِ الإسلامِ إلى هذهِ المناطقِ. ويؤكِّدُ في الوقتِ نفسِهِ جُملةً من الحقائقِ التاريخيَّةِ القابعةِ في مجاهلِ التاريخِ، والتي يؤدّي الكشفُ عنها إلى إظهارِ الدورِ الذي لعبَهُ العربُ المسلمونَ في نهضةِ إفريقيا وراءَ الصحراءِ حضاريًّا.

اهدافُ الدراسة

- إيضاح الأحْوَالُ العُمْرَانِيَّةُ فِي إِفْرِيقِيَا جَنُوبَ الصَّحْرَاءِ قَبْلَ أن يصلها الإِسْلَامِ؟

- معرفة تَطَوَّرَ العُمْرَانُ عِنْدَ المُسْلِمِين وطرقَ تَأَثُّرِ الأفَارِقَةِ فِي جَنُوبِ الصَّحْرَاءِ بِهِ
- شرح مركز لأهمُّ الحواضرِ الإفريقيَّةِ في جنوبِ الصَّحراءِ التي وصلتها التَّأثيراتِ الإسلاميَّةِ في الجوانبِ العُمْرانيَّةِ، ومعرفة الدَّورُ الذي لعبهُ المُهندسونَ المِعْمَارِيُّونَ العربُ الذينَ استقرُّوا في هذهِ الحواضرِ

إشكالية الدراسة : تتعلق إشكالية هَذَا الدراسة من خلال الوُصولُ إِلَى إِجَابَاتٍ على التَّسَاؤُلاتِ التَّالِيَةِ:

- مَا الأَحْوَالُ العُمْرَانِيَّةُ فِي إِفْرِيقِيَا جَنُوبَ الصَّحْرَاءِ قَبْلَ وُصُولِ الإِسْلَامِ؟
- كَيْفَ تَطَوَّرَ العُمْرَانُ عِنْدَ المُسْلِمِينَ؟ وَمَا مَدَى تَأَثُّرِ الأَفَارِقَةِ فِي جَنُوبِ الصَّحْرَاءِ بِهِ؟
- ما هي أهمُّ الحواضرِ الإفريقيَّةِ في جنوبِ الصَّحراءِ التي وصلتها التَّأثيراتِ الإسلاميَّةِ في الجوانبِ العُمْرانيَّةِ؟ وما الدَّورُ الذي لعبهُ المُهندسونَ المِعْمَارِيُّونَ العربُ الذينَ استقرُّوا في هذهِ الحواضرِ؟

منهج الدراسة:
وَسَيَكُونُ المَنْهَجُ التَّارِيخِيُّ السَّرْدِيُّ هُوَ المَنْهَجَ المُتَّبَعَ فِي هَذَا البَحْثِ، مَعَ حُضُورِ الوصف والتَّحْلِيلِ وَالمُقَارَنَةِ بَيْنَ النُّصُوصِ التَّارِيخِيَّةِ

المبحث الأوَّلُ: الأحوالُ العُمرانيَّةُ لأفريقيا جنوبَ الصحراءِ قبلَ الإسلامِ

يُسمّي الرحَّالةُ والمؤرّخون العربُ المنطقةَ الواقعةَ جنوبَ الصحراءِ الكبرى، حتى الغاباتِ الاستوائيةِ في شمالِ إفريقيا، والممتدَّةَ من البحرِ الأحمرِ شرقًا حتى المحيطِ الأطلسيّ غربًا، بأرضِ السُّودانِ، ويصفها القزويني (1966، صفحة 24) بقوله :"وهي بلادٌ واسعةٌ كثيرةُ الأرجاءِ، ينتهي شمالُها إلى أرضِ البربر"، ومنَ المعروفِ أنَّ هذه البِقاعَ وصلها الإسلامُ بعواملِ السِّلمِ، عبرَ الدُّعاةِ والتُّجَّارِ، لا سيَّما المغاربةَ (التكيتك، 1998، صفحة 24) ، فغَدَتْ مع مرورِ الوقتِ مستضاءَةً بنورِ الإسلامِ دينًا وحضارةً.

لم تكنِ القبائلُ الإفريقيَّةُ في المنطقةِ الممتدَّةِ جنوبَ الصحراءِ الكبرى حتَّى المناطقِ الاستوائيَّةِ، أو ما عُرِفَ فيما بعدُ بمنطقةِ الممالكِ الإسلاميَّةِ جنوبَ الصحراءِ، تمتلكُ حضارةً عمرانيَّةً مزدهرةً يُمكنُ أن يُبنى عليها أساسٌ حضاريٌّ متينٌ. فقد كانتْ هذه القبائلُ تَمتهنُ الرَّعيَ والصَّيدَ، وفي بعضِ الأحيانِ الزِّراعةَ، وكانتْ تعيشُ في مجتمعاتٍ قبليَّةٍ غيرَ مُستقرَّةٍ. ومع مرورِ الوقتِ، تطوَّرتْ بعضُ هذه القبائلِ، وأصبحَ لبعضِها دولٌ خاصَّةٌ، كما نشأتْ لديها صناعاتٌ يدويَّةٌ متطوّرةٌ، مثلَ قبائلِ الهوسا، فيما بقيَ البعضُ الآخرُ على نُظُمٍ اجتماعيَّةٍ واقتصاديَّةٍ بدائيَّةٍ، مثلَ قبائلِ نيجيريا الوثنيَّةِ (مخزوم، 1998).

وكان لاستقرارِ بعضِ القبائلِ الإفريقيَّةِ دورٌ في ظهورِ البناءِ العُمرانيّ لديها، فقد كان البناءُ في بادئِ الأمرِ عبارةً عن شكلٍ هرميّ مُستديرٍ تُغطَّى سطوحُهُ بالأخصاصِ والقشّ على هيئةٍ هرميَّةٍ كذلكَ. وربَّما يعودُ ذلكَ إلى عاملِ التكيُّفِ مع المناخِ، حيثُ يشهدُ فصلُ الأمطارِ هطولًا غزيرًا (زيادية، 1989). أمَّا الجدرانُ، فكانتْ تُبنى بالطُّوبِ، ونادرًا ما تتخلَّلُها الحجارةُ. وقد كان بناءُ الأغنياءِ يتميَّزُ عن بناءِ العامَّةِ، حيثُ كان الأغنياءُ يُشيّدونَ مساكنَهم بالآجُرِّ، أيْ بالطُّوبِ المُحرَقِ، في حينِ تبني العامَّةُ بيوتَها بالطُّوبِ غيرِ المُحرَقِ، الذي يُخلَطُ بالتِّبْنِ ليزدادَ صلابةً (امطير، 1996).

وكان للعاملِ الخُرافيّ الأسطوريّ دورٌ في أنماطِ البناءِ عندَ الأفارقةِ، فقد ذكرتِ المصادرُ التاريخيَّةُ أنَّ أسطحَ المنازلِ القُبَّيَّةِ عندَ شعوبِ الدُّوجُون في غربِ إفريقيا كانتْ ترمزُ إلى قُبَّةِ السَّماءِ بما فيها من أجرامٍ وكواكبَ، كما أنَّ العِمارةَ القُبَّيَّةَ عندَ أهالي النُّوبةِ كانتْ أكثرَ شبهًا بأنماطِ البناءِ بالأحجارِ التي استُحدِثَتْ في عهدِ الفراعنةِ (الخادم، 1982)

وهكذا، فإنَّ البناءَ البدائيَّ عندَ الشعوبِ الإفريقيَّةِ القديمةِ شكَّل فيه البُعدُ الأسطوريُّ والرَّمزيُّ المحورَ الرئيسيَّ، فكلُّ شكلٍ من أشكالِ البناءِ كان يُجسِّدُ طُقوسًا ومعانيَ خاصَّةً.

لقد ظهرتْ بعضُ نُظُمِ الحُكمِ في مناطقَ من غربِ إفريقيا قبلَ وصولِ الإسلامِ، مثلَ إمبراطوريَّةِ غانا الوثنيَّةِ، التي شهدتْ نوعًا من الرُّقيِّ العمرانيّ المحدودِ، ولعلَّ مدينةَ كومبي صالح، عاصمةَ الإمبراطوريَّةِ، تؤكِّدُ ذلكَ. فقد كانتِ المدينةُ تنمو تدريجيًّا، وتحدَّثَ عنها البكريُّ قائلًا "إنَّها مدينةُ الملكِ، وتُعرَفُ بالغابةِ نظرًا لما يُحيطُ بها من أحراشٍ. وفي هذه المدينةِ، كانتِ المباني متَّصلةً ببعضِها، ومبنيَّةً بالأحجارِ وخشبِ السَّنطِ، أمَّا الملكُ، فلهُ قصرٌ خاصٌّ بهِ" (1981، صفحة 872).

لعلَّ أهمَّ ما يُميِّزُ الأحوالَ العمرانيَّةَ للشعوبِ والقبائلِ الإفريقيَّةِ في تلكَ الفترةِ من تاريخِها أنَّ التجمُّعاتِ السُّكانيَّةَ كانتْ تحكُمُها العشوائيَّةُ والحاجةُ للأمانِ، فلم يكنْ اهتمامُ المواطنِ الإفريقيّ بالسَّكنِ إلَّا لكونهِ مأوًى يعودُ إليهِ بعدَ عناءِ يومٍ كاملٍ

قضاهُ في الصَّيدِ أو الرَّعيِ أو الزِّراعةِ. وحتَّى القبائلُ والشعوبُ الإفريقيَّةُ، قبلَ ظهورِ ما يُعرَفُ بأنظمةِ الحُكمِ، لم تكنْ تُولِي الفَنَّ المعماريَّ تلكَ الأهميَّةَ التي ظهرتْ فيما بعدُ، أيْ بعدَ وصولِ الإسلامِ إلى هذهِ المناطقِ.

المبحث الثاني: تطوُّرُ الحضارةِ العُمرانيَّةِ عندَ المسلمينِ وكيفَ تأثَّرَ بها الأفارقةُ

1- تطوُّرُ العُمرانِ عندَ العربِ المسلمينَ

في الوقتِ الذي كانَ فيهِ نمطُ العيشِ عندَ الأفارقةِ في معظمِهم بدائيًّا إلى درجةٍ كبيرةٍ، كانَ العربُ قبلَ الإسلامِ يعيشونَ حياةً متباينةً؛ فالبداوةُ كانتْ سائدةً عندَ القبائلِ العربيَّةِ التي تُقيمُ في أماكنَ متناثرةٍ من وسطِ وشرقِ وغربِ الجزيرةِ العربيَّةِ، بينما برزتِ الحضاراتُ المدنيَّةُ على أطرافِ الجزيرةِ العربيَّةِ شمالًا وجنوبًا، فظهرتْ دُوَلٌ وممالكُ اليمنِ في الجنوبِ، وحضاراتُ المناذرةِ والغساسنةِ والأنباطِ في الشمالِ. غيرَ أنَّهُ كانتْ هناكَ بعضُ المدنِ ذاتُ الصيغةِ الحضاريَّةِ المُستقرَّةِ في وسطِ الجزيرةِ العربيَّةِ، مثلَ مكَّةَ ويثربَ والطائفِ.

وبالنظرِ إلى يثربَ – باعتبارِها عاصمةَ الدولةِ الإسلاميَّةِ في بدايتِها – نجدُ أنَّهُ بعدَ ظهورِ الإسلامِ وهِجرةِ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إليها، بدأتْ تتغيَّرُ معالمُها العُمرانيَّةُ تغيُّرًا كاملاً، مما جعلها تظهر كمركز حضاريّ مُتكاملً يتوافق مع التغيُّرُ في مُجتمعِها الإسلاميّ الجديدِ(عثمان،1981)، الذي بدأ يستجيبُ للتشكُّلِ الحضاريّ الواعدِ الذي دعا إليهِ الإسلامُ ، وَبِالتَّالِي يُمْكِنُ أَنْ نَعْتَبِرَ أَنَّ الهِجْرَةَ هِيَ نُقْطَةُ الانْطِلَاقِ فِي تَارِيخِ العِمَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

فكانتْ في المدينةِ بدايةُ العملِ الإنشائيّ للتَّكويناتِ المعماريَّةِ الجديدةِ، وكانَ نواتُها المسجدَ الجامعَ، ومن حولِهِ إنشاءاتٌ تُمثِّلُ منازلَ للمهاجرينَ المُوزَّعينَ في أحياءِ الأنصارِ. واستكمالًا لمرافقِ المدينةِ العُمرانيَّةِ؛ اهتمَّ الرسولُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بإنشاءِ سوقٍ، فقدْ حدَّدَ صلى اللهُ عليهِ وسلم موضعَهُ، باعتبارِهِ إحدى ضروريَّاتِ الحياةِ المدنيَّةِ المُستقرَّةِ ومصدرًا للتِّجارةِ والحِرَفِ المُختلفةِ. وقدْ روى الطبرانيُّ أنَّ رجلًا جاءَ إلى النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلم فقالَ: "إنّي نظرتُ موضعًا للسوقِ، أفلا تنظرونَ إليهِ؟" قالَ: "بلى"، فقامَ معهُ حتى موضعِ السوقِ، فلمَّا رآهُ أعجبَهُ وركضَهُ برجلِهِ، وقالَ: «نِعْمَ سُوقُكُمْ هَذَا، فَلَا يُنْتَقَصَنَّ وَلَا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَاجٌ» (1977، صفحة 263)

كما أقرَّ الرسولُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ الأسواقَ التي كانتْ تُمارَسُ فيها التِّجارةُ وتُبايَعُ قبلَ الإسلامِ، فعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: "كانتْ عُكاظُ ومجَنَّةُ وذو المجازِ أسواقًا في الجاهليَّةِ، فلمَّا كانَ الإسلامُ تأثَّموا من التِّجارةِ فيها (ابن حجر العسقلاني، 1986، صفحة 376)، فأنزلَ اللهُ تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ} (البقرة، آية 198) "، ورُبِطَتِ الشَّوارعُ والطُّرُقُ باعتبارِها شرايينَ الاتِّصالِ بينَ هذهِ التَّكويناتِ المعماريَّةِ، ثمَّ استمرَّ الخلفاءُ على نفسِ المنوالِ الذي كانَ عليهِ الرسولُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في الاهتمامِ بالعُمرانِ (الأبيض، 1994).

وفي موجةِ الفتوحاتِ الإسلاميَّةِ التي واكبتْ خلافةَ الخليفةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ خارجَ الجزيرةِ العربيَّةِ باتجاهِ الشَّامِ والعراقِ ومصرَ، حتَّمتِ الظروفُ على المسلمينَ في ذلكَ الوقتِ إقامةَ محطَّاتٍ ذاتِ صِيغةٍ عسكريَّةٍ، تحوَّلتْ فيما بعدُ إلى مُدُنٍ استوطنتْها القبائلُ العربيَّةُ وأصبحتْ مراكزَ حضاريَّةً وعمرانيَّةً لها دورُها المُؤثِّرُ في التَّاريخِ الإسلاميّ ، مثل مدينتي البصرة والكوفة في العراق، وهذه المدن كان يطلق عليه أمصار، فكلمة "تَمْصِير" تَشِيرُ إلى عَمَلِيَّةِ إِنْشَاءِ المُدُنِ أَوِ الأَمْصَارِ فِي المَنَاطِقِ الَّتِي فَتَحَهَا المُسْلِمُونَ أَثْنَاءَ تَوَسُّعِهِمْ. فالأَمْصَارُ هِيَ تَجَمُّعَاتٌ سَكَنِيَّةٌ تَمَّ بِنَاؤُهَا حَوْلَ المَعْسَكَرَاتِ العَسْكَرِيَّةِ، وَذَلِكَ لِتَوْفِيرِ الاستِقْرَارِ وَالتَّنْظِيمِ فِي المَنَاطِقِ الجَدِيدَةِ.

اختلفت التفسيراتُ في معنى التَّمصيرِ أو المِصْرِ؛ فبينما يصفه ابنُ خلدون بالحاضرة، أي المكان الذي يُقيمُ فيه الناسُ إقامةً دائمةً ويتحوَّلُ بفعل التطوُّرِ إلى مدينة (1999، صفحة 637)، نجدُ في "الصِّحاح" أنّ المِصْرَ يعني "الحدَّ بين الشيئين" و"المِصْران: الكوفةُ والبصرةُ" (الجوهري، 1990، صفحة 817) . أمَّا ابنُ منظور، فيعتبرُ: "المِصْرَ البلدَ" -ويقصدُ هنا الكُوفةَ والبصرةَ-، ويرى أيضًا أنَّ المِصْرَ في كلام العرب هو: "كلُّ كُورةٍ تُقامُ فيها الحدودُ ويُقْسَمُ فيها الفيءُ والصدقات". ويقول أيضا: "وكان عمرُ بنُ الخطابِ، رضي الله عنه، قد مَصَّرَ الأمصارَ، ومنها الكوفةُ والبصرةُ" ، كما يُعطي تفسيرًا آخرَ لمعنى المِصْرِ وهو الحَدُّ بين البحرِ والمدينةِ (1999، صفحة 4215) ، والواضحُ أنَّ هذا المعنى ينطبقُ على الكوفةِ تحديدًا؛ لأنَّ وصيةَ الخليفةِ عمرَ بنِ الخطابِ لسعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ حينما استشارَه في بناءِ الكوفةِ طلبَ منه ألَّا يجعلَ بينَه وبينَها البحرَ، ويقصدُ هنا أنْ يكونَ موقعُها إلى الغربِ من نهرِ دجلةَ، ثمَّ تطوَّرَ اهتمامُ المسلمينَ بالعُمرانِ، ولعلَّ حياةَ الرَّفاهيةِ التي لازمتْ

الخِلافةَ الأُمويَّةَ ومنْ بعدها الخِلافةَ العبَّاسيَّةَ، جعلتِ الاهتمامَ بالمُنشآتِ العُمرانيَّةِ يأخذُ منحًى آخرَ، فظهرتِ القُصورُ والقِلاعُ، كما ظهرتِ المدارسُ كمُؤسَّساتٍ تعليميَّةٍ، والخانقاتُ والرِّباطاتُ والزَّوايا كمُؤسَّساتٍ دينيَّةٍ.

أ. المساجدُ:

يُعتَبَرُ المسجدُ هو البناءَ الأساسيَّ لدى المسلمينَ، ولقدْ كانَ المسلمونَ يبدؤونَ ببناءِ المسجدِ فورَ شروعِهم في بناءِ المُدُنِ التي استحدثوها. لمْ تكنْ مُهمَّةُ المسجدِ مجرَّدَ مكانٍ للعبادةِ، فقدْ كانتْ تُعقَدُ فيهِ الاجتماعاتُ، وتُتَّخَذُ من بينِ زواياهُ القراراتُ الحاسمةُ (عثمان، 1981) ، ثمَّ تحوَّلتِ المساجدُ فيما بعدُ إلى مراكزَ للثَّقافةِ والتَّعليمِ، وفي العصرِ الأُمويّ والعبَّاسيّ، أصبحتِ المساجدُ معاهدَ وجامعاتٍ ومناراتٍ للعلمِ (حسن، 1991).

ب. القصور:

لم يكنْ للعربِ في بدايةِ الإسلامِ قُصورٌ، فقد كانَ الاهتمامُ مُنْصَبًّا على نشرِ الدعوةِ الإسلاميةِ، ولم يكنْ هناكَ ميلٌ لحياةِ الترفِ عندَ الرسولِ -عليهِ الصلاةُ والسلامُ- وكذلكَ الصحابةُ المُقَرَّبونَ. ورغمَ أنَّ بعضَ هؤلاءِ كانَ منَ الغنى بحيثُ يمكنهُ بناءُ القصورِ لكنها لم تكن فارهةً، مثلَ ما شيده عثمانَ بنِ عفَّانَ، وطلحةَ بنِ عبدِاللهِ، والزبيرِ بنِ العوَّامِ وغيرِهم، إلَّا أنَّهم فضَّلوا حياةَ التَّقشُّفِ التي كانتْ منْ سماتِ المؤمنِ الحقِّ .

بعدَ انتشارِ الإسلامِ وافتتاحِ الشَّامِ والعراقِ والاختلاطِ بالرُّومِ والفُرْسِ، الذينَ كانوا بارعينَ في بناءِ القصورِ؛ ظهرتِ القصورُ في المجتمعِ الإسلاميّ. أصبح القصرُ مقرَّ الحاكمِ ومركزَ السلطةِ، ولم يتبلورْ في نمطِهِ المعروفِ إلَّا في العهودِ التالية، حيثُ أصبحَ مكانًا للراحةِ، ولا سيَّما تلك القصورِ التي كانت تُبنى خارجَ المدنِ، حيثُ يجدُ فيها الخلفاءُ والولاةُ ملاذًا من صخبِ المدنِ، ومكانًا قريبًا يمكِّنهم من ممارسةِ هواياتِهم في الصيد (الريحاوي، 1995) ، وأولُ منْ بنى القصورَ كانوا الخلفاءَ في الدولةِ الأُمويَّةِ والدولةِ العباسيَّةِ، وأصبحتِ القصورُ فيما بعدُ نمطًا منْ أنماطِ العمرانِ وتطوُّرِهِ في الدولةِ الإسلاميَّةِ.

ج. الوقف:

لعبتِ الأوقافُ دورًا عظيمًا في حياةِ المدنِ في الدولةِ الإسلاميَّةِ، وانتشرتْ انتشارًا ملحوظًا حتى خُصِّصَ لها ديوانٌ يُعرفُ بديوانِ الأحباسِ أو الأوقافِ (القلقشندي، 1963)

ظهرَ الوقفُ منذ عهدِ الرسولِ ﷺ، غيرَ أنَّ تأثيرَهُ في التَّطوُّرِ العمرانيّ للمدنِ الإسلاميَّةِ لم يبرزْ بشكلٍ جليٍّ إلَّا مع بداياتِ القرنِ السادسِ للهجرةِ. وقد كان الإشرافُ على المؤسَّساتِ التعليميَّةِ، والزوايا، والخانقاهات، والرِّباطاتِ من أهمِّ المهامِّ التي اضطلعَ بها الوقفُ، إذ لعبَ دوراً محوريًّا في دعمِ الحركةِ العلميَّةِ والاجتماعيَّةِ بالمدن الإسلامية في تلك الحقبةِ. حيثُ ساهمَ في تشكيلِ حياتِها الاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والثقافيَّةِ (عثمان، 1981)

والوقفُ هوَ صدقةٌ جاريةٌ من أموالِ الواقفِ في حياتِهِ، ويستمرُّ بقاؤُها بعدَ مماتِهِ، وتُخصَّصُ لوجوهِ البرِّ والخيرِ، كإعانةِ الفقراءِ، أو بناءِ مسجدٍ، أو إنشاءِ مدرسةٍ، أو ما شابهَ ذلكَ بشرطِ استمرارِ عملِ الوقفِ ، وتضمَّنتْ أحكامُ الوقفِ مشروعيتَهُ، وتنميتَهُ، واستثمارَهُ بزيادةِ المباني والأراضي (عثمان، 1981).

وكانتِ الأوقافُ جزءًا منْ حركةِ العمرانِ في مراكزِ الاستيطانِ، ومنْ أهمِّها المدنُ. وقدْ أقرَّ الإسلامُ مبدأَ الوقفِ، وبيَّنَ أصولَهُ وأحكامَهُ، ووضعَ حدودَهُ وشروطَهُ، وظهرَ أثرُ الوقفِ في عُمرانِ المدينةِ في الدولةِ الإسلاميَّةِ، باعتبارِها مجالًا لتطبيقِ أوجهِ نشاطِهِ المعماريَّةِ (الأبيض، 1994).

وتمثِّلُ الأوقافُ جانبًا تطوُّعيًّا في عُمرانِ المدنِ، حيث كانت عاملًا مُساعِدًا لمجهوداتِ الدولةِ في الإعمارِ والبناء، والواقعُ أنَّ الأوقافَ تطوَّرتْ في شكلِها ونشاطِها في الدولة الإسلامية بتطوُّرِ حياةِ المجتمعِ الإسلاميّ (الأبيض، 1994)، ولمْ يقتصرْ دورُ الوقفِ على الإنشاءِ العمرانيّ في المدنِ، بلْ تجاوزَ ذلكَ ليشملَ جوانبَ اجتماعيَّةً مهمَّةً، تمثَّلتْ في رعايةِ أهلِ العلمِ منَ الشيوخِ، وطَلَبَةٍ، ومُدَرِّسينَ، ومُتَصَوِّفَةٍ.

د. منشآت التصوف:

كانت منشآتُ التصوّفِ من خَانَقَاتٍ وزوايا وأربطةٍ من نوعيّاتِ المنشآتِ الدينيّة التي تلازَمَ ظهورُها مع ظهورِ المدارسِ. وقد أُنشِئَتْ لهم مبانٍ خاصّةٌ يختلونَ فيها للعبادةِ ويقيمونَ فيها إقامةً دائمةً أُطلقَ عليها (الخَانَقَات).

ومن هنا نجدُ أنَّ المسلمينَ كانَ اهتمامُهُم بالعُمرانِ إنّما جاءَ منَ الفروضِ التي أوْجَهَها الدينُ على الأمةِ وعلى الدولةِ التي تقومُ بها نيابةً عنها، وهيَ إيجادُ الوسائلِ التي يتحقّقُ بها العُمرانُ، وتوفّرُ أسبابَ المعيشةِ للناسِ، وبها تُكْنَزُ الثروةُ وينمُو الإنتاجُ. وهذا مما يدلُّ دلالةً قاطعةً على أنَّ الإسلامَ دينُ إنشاءٍ وتعميرٍ، ويَهُمُّهُ شؤونُ الدُّنيا كما تهمُّهُ شؤونُ الدِّينِ.

يقولُ ابنُ خلدونَ في ذلك: "إنَّ اختِطاطَ المنازلِ مِنْ مَنَازِعِ الحضانةِ." ويقولُ أيضًا: "إنَّ مُعظَمَ آثارِ العُمرانِ في المدنِ تتأثَّرُ من كونها (كُرَاسِ للمُلْكِ)، لأنَّ رجالَ الدولةِ ورؤساءَ الحَامِيةِ وأتباعَهُمُ الكثيرينَ يجتمعونَ ويقطنونَ هناك." (1999، صفحة 342)، وهذا الأمرُ جعلَ المدنَ الإسلاميّةَ تزدادُ توسُّعًا وزحفًا على الباديةِ، وأصبحَ الخلفاءُ والأثرياءُ يتفنَّنونَ في بناءِ العُمرانِ زهوًا بالنفسِ ورغبةً في العُلُوِّ.

2-مَدى تَأثُّرِ الأَفارِقَةِ بِالحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي المَجَالِ العُمْرَانِيِّ

المُجْتَمَعُ في غَرْبِ إِفْرِيقْيَا فِيمَا وَرَاءَ الصَّحْرَاءِ يُشَكِّلُ نَمُوذَجًا فَرِيدًا فِي التَّعْقِيدِ، إِذْ يَصْعُبُ الفَصْلُ بَيْنَ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ وَالعَلَاقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ. فَالسُّلُوكُ الاجْتِمَاعِيُّ يَتَحَدَّدُ مِنْ خِلَالِ المُعْتَقَدَاتِ (لوبين و جعدي، 2014م/2015م)، وَمِنْ هُنَا نَجِدُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَشْعُرُ بِهِ الإِنْسَانُ هُوَ الوَازِعُ الدِّينِيُّ، مِمَّا يَجْعَلُهُ يُؤْمِنُ بِالطُّقُوسِ رَغْمَ غَرَابَتِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ (الماحي، 1996).

كَانَتِ الوَثَنِيَّةُ هِيَ السَّائِدَةَ بَيْنَ سُكَّانِ غَرْبِ إِفْرِيقْيَا قَبْلَ وُصُولِ الإِسْلَامِ ، وَقَدْ ظَهَرَتْ لَدَيْهِمْ عِبَادَةُ الأَسْلَافِ، أَيْ إِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ حَيَاةَ الإِنْسَانِ لا تَتَوَقَّفُ بِمُجَرَّدِ مُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِجَسَدِهِ. وَلِهَذِهِ العِبَادَةِ احْتِفَالَاتٌ وَطُقُوسٌ خَاصَّةٌ، تُقَامُ عِنْدَمَا يَظْهَرُ الهِلَالُ فِي السَّمَاءِ (الماحي، 1996).

بدأ الإسلامُ يتسرَّبُ تدريجيًّا داخلَ المجتمعاتِ الإفريقيّةِ، وبدأتِ الشعوبُ والقبائلُ الإفريقيّةُ تعتنقُ الدِّينَ الحنيفَ، لما وجدتهُ فيهِ من سماحةٍ وقيمٍ تدعو إلى العدلِ والفضيلةِ. وأخذتِ الوثنيّةُ بكلِّ أشكالِها المتردِّدةِ تندثِرُ أمامَ هذا المدِّ العظيمِ لهذا الدِّينِ العظيمِ، وأصبحتِ العقائدُ والتعاليمُ الإسلاميّةُ تَسُودُ المجتمعاتِ الإفريقيّةَ، حتّى بات نظامُ الحُكمِ في الممالكِ الإسلاميّةِ لا يخرجُ عن الشريعةِ الإسلاميّةِ. وقد صاحبَ هذا الانتشارُ للإسلامِ انتشارًا آخرَ يتمثَّلُ في الحضارةِ الإسلاميّةِ بكافّةِ أشكالِها، ومنها المجالُ العمرانيُّ. فأصبحتْ أنماطُ البناءِ العربيِّ الإسلاميِّ ظاهرةً للعيانِ في المدنِ الإفريقيّةِ، خاصّةً في بناءِ المساجدِ والبيوتِ والقصورِ. وقد وصفَ أحد المؤرخين تخطيطَ مدنِ السُّودانِ الغربيِّ المتأثِّرَ بالنَّمطِ المعماريِّ العربيِّ الإسلاميِّ في العصورِ الوسطى، فقال: "كانَ لكلِّ مدينةٍ مسجدُها الكبيرُ الذي يجتمعُ فيهِ سكّانُها. وقد نُظِّمَتِ المدنُ الإسلاميّةُ من حيثُ تخطيطُها لتُلاءِمَ حياةَ الطوائفِ الاجتماعيّةِ وِفقًا للأغراضِ الاقتصاديّةِ، ومن ذلك بناءُ وتنظيمُ المخازنِ والمتاجرِ والحوانيتِ التي بُنِيَتْ حولَ المسجدِ... ثمَّ تُستَديرُ الأبنيةُ الأخرى حولَ المسجدِ لتقومَ فيها أعمالُ التجارةِ" (قداح، 1974، صفحة 146).

كما شاعَ في مُدنِ السُّودانِ الغربيِّ بناءُ الأسوارِ تشبُّهًا بما كانَ موجودًا في البلادِ العربيَّةِ الإسلاميَّةِ، خاصَّةً المغربِ (الجمل، 1997)، إذ أنَّ بَناءَ الأسوارِ لم يكنْ معروفًا لدى الأفارقةِ، حتى إنَّ هناك أحياءَ كاملةً في المدنِ الأفريقيَّةِ قد أُنشئتْ على الطريقةِ الغربيَّةِ. لقد كانَ الأفارقةُ ينظرونَ إلى التَّطورِ العمرانيِّ في المغربِ، خاصَّةً وفي البلادِ العربيَّةِ عامَّةً، على أنَّه مثالٌ أعلى يُجبُ الاقتداءُ به. إنَّ الأفارقةَ لم يُحاكوا العربَ المسلمينَ في الأفكارِ والعقائدِ فقط، بل حتى في أشكالِ البناءِ، وهذا في حدِّ ذاتهِ دليلٌ لا يُقبلُ الهراءُ أو الشَّكُّ على أنَّ العربَ بلغَ تأثيرهم على المجتمعاتِ الأفريقيَّةِ عظيمًا.

المبحث الثالثُ الحواضرُ الأفريقيَّةُ فيما وراءَ الصَّحراءِ ودورُ العربِ في إنشائِها وازدهارِها

دَخلَ الإسلامُ إلى إفريقيا فيما وراءَ الصَّحراءِ بواسطةِ التُّجَّارِ والدُّعاةِ وقبل ذلك القادةِ الفاتحينَ، أمثالِ عقبةَ بنِ نافعٍ، ثمَّ جاءَ المُرابطونَ ليُكمِلوا هذا الدَّورَ. فدَخلَتِ القبائلُ الأفريقيَّةُ في الدِّينِ الإسلاميِّ، وأسَّسَتْ فيما بعدُ ممالكَ ومراكزَ ومدُنًا وقُرى كبيرةً كانَ لها أثرٌ كبيرٌ في نشرِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ

والواقع أن الدعاةَ والتجّارَ كان لهم الأثرُ الكبيرُ في وصول الحضارةِ الإسلاميةِ إلى هذه البقاع، نتيجةً للاحتكاكِ المباشرِ بالسكان. وكان لهذا الاحتكاكِ دورٌ مهمٌّ في تقبُّلِ السكانِ المحليينَ للتعاليمِ الإسلاميةِ ومظاهرِ الحضارةِ التي جلبها الدعاةُ والتجارُ معهم من بلادهم. فقد عمل كثيرٌ من الدعاةِ مُعلّمينَ للسكانِ المحليينَ وناصحينَ للحكامِ في الممالكِ الأفريقية، دون أن ننسى الدورَ الذي لعبتْهُ رحلاتُ الحجِّ التي كان يقوم بها سلاطينُ الممالكِ الأفريقية، حيث توطّدتْ من خلالِ هذه الرحلاتِ علاقاتٌ بين هذه الممالكِ وأقطارِ المغربِ الإسلاميِّ ومصرَ والحجاز. ومن نتاجِ هذه العلاقاتِ اطّلاعُ سلاطينِ هذه الممالكِ على النهضةِ العمرانيةِ ومظاهرِ البناءِ في البلادِ العربيةِ الإسلاميةِ، فقاموا بنقلِ ما تعلّموهُ وما شاهدوهُ إلى بلادهم، ومن هنا بدأتْ عندهم نهضةٌ عمرانيةٌ تحاكي ما هو موجودٌ في البلادِ العربيةِ الإسلاميةِ

اختلفَتْ أسبابُ نشأةِ الحواضرِ والقُرى وتنوَّعَتْ هذه الأسبابُ، وارتبطَتْ بعواملَ كثيرةٍ اقتصاديَّةٍ وعسكريَّةٍ ودينيَّةٍ وثقافيَّةٍ، فقد كانتِ الحاضرةُ تبدأُ بنواةٍ عمرانيَّةٍ، وتتطوَّرُ وتتشكلُ لتأخذَ الملامحَ الأخيرةَ. لقدْ تطوَّرتِ الحواضرُ في إفريقيا

فيما وراءَ الصَّحراءِ وازدهَرَ عمرانُها، وحكمَ هذا التَّطوُّرُ الأسُسَ التي قامتْ عليها هذه الحواضرُ. فقدْ اتَّسعَ عمرانُ بعضِ الحواضرِ والقُرى اتِّساعًا هائلًا بفضلِ توفُّرِ المُقوِّماتِ الحضاريَّةِ لذلك.

وما يجبُ الإشارةُ إليهِ أنَّ هناكَ حواضرَ سادتْ في فترةِ ازدهارِ الدَّولةِ الحاكمةِ، وما لبثَ أنْ ضاعَ بريقُها وباتتْ مدينةً عاديَّةً ضمنَ إمبراطوريَّةٍ وارثةٍ لهذهِ الدَّولةِ. ونضربُ مثالًا على ذلكَ مدينةَ نياني أو مليل؛ فقدْ كانتْ حاضرةً لمملكةِ مالي، وما لبثَ أنْ سقطتْ مالي على يدِ سُفتاني، فاتَّخذوا جاوَ عاصمةً لهم، فتَحوَّلتِ الأنظارُ صوبَ جاو (الدالي، 2000).

لقد أدَّى التواصُلُ الحضاريُّ والسُّكانيُّ بين الوطنِ العربيّ ومناطقِ السُّودانِ الغربيّ إلى قيامِ مراكزَ ثقافيَّةٍ لعبتْ دورًا هامًّا فيما وراءَ الصَّحراءِ (امطير، 1996) ، وإضافةً إلى كونِ هذهِ الحواضرِ مراكزَ ثقافيَّةً، فقدْ كانتْ أيضًا مراكزَ للتِّجارةِ والزِّراعةِ، فغُرِستْ فيها السَّبَاتينُ والكُرومُ، وازدهرتْ فيها الأسواقُ.

1-أهمُّ الحواضرِ الإسلاميَّةِ في إفريقيا فيما وراءَ الصَّحراءِ

أ. مدينةُ تِمبُكتو

تذكر بعضِ المصادر التاريخية أنَّ تُمْبُكْتُو قد بُنِيت في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على يد إحدى قبائل الملثَّمين. يبدو أن هناك بعض الاختلافات حول القبيلة التي قامت بتأسيس المدينة، حيث تشير بعض الدراسات إلى أنها من قبائل الطوارق (السعدي، 1981) .

تُعتبَرُ مدينةُ تِمبُكتو ذاتَ جمالٍ رائعٍ وتقسيمٍ جميلٍ، وقد كانتْ مُقسَّمةً إلى عددٍ من الأحياءِ مثل حومةِ الغدامسيّينَ، وكابير، وكِنْد (السعدي، 1981) ، وكلُّ حومةٍ خاصَّةٌ بطائفةٍ من السُّكانِ. كما كانتِ المدينةُ مُسوَّرةً بسورٍ كبيرٍ يحميها من غاراتِ الأعداءِ، وكانتْ داخلَ السُّورِ مساكنُ متنوّعةُ البناءِ؛ فبعضُها مبنيٌّ بالطِّينِ والطُّوبِ واللَّبنِ، والبعضُ الآخرُ مبنيٌّ بسيقانِ الأشجارِ ومُغطًّى بالأعشابِ والقشِّ وغُصونِ الأشجارِ، وقد تقدَّمَ البناءُ فيها يومًا بعدَ يومٍ بفضلِ تطوُّرِها الثقافيّ والاقتصاديّ (الوزان، 1983) ،وكانتْ منازلُها تُوصَفُ بأنَّها مُنظَّمةٌ تنظيمًا جيدًا.

من دلائلِ الازدهارِ العمرانيّ في تِمبُكتو كثرةُ المساجدِ بها، مثل مسجدِ حجريّ، أي المسجدِ الكبيرِ، ومسجدِ سيدي يحيى، وجامعةِ سَنْكُري. كما اشتهرَتْ بالمباني الفخمةِ من قُصورٍ ونحوِها للأثرياءِ، ومن أشهرِ قُصورِها قصرُ "مع دَلَّة"، أي دارُ السُّلطانِ، الذي بناهُ نائبُ السُّلطانِ في دولةِ مالي خلالَ القرنِ الثامنِ الهجريّ وأشرف عليه الْمِعْمَارِيُّ أَبُو إِسْحَاقَ السَّاحِلِيُّ مُستخدمًا في ذلك الْحَجَرَ وَالْجِبْسِ، وَجَعَلَهُ مُطَعَّمًا بِالْخَشَبِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ (السعدي، 1981) ،وكذلك، فإنَّ الأسكيينَ شيَّدوا قصرًا خاصًّا بهم كانَ غايةً في الرَّوعةِ والإتقانِ، وقد تمَّتْ زخرفتُهُ بالذَّهبِ والصُّوَرِ، ما جعلَهُ يشبهُ التُّحفَ البديعةَ للعمارةِ المغربيَّةِ الأندلسيَّةِ التي تمثَّلتْ في المساجدِ والقُصور (الوزان، 1983).

ما يُميِّزُ المَنازِلَ القَديمَةَ في تِنبُكتُو هو وجودُ منازلَ ذاتِ طابِقَين تتميّزُ بأبوابٍ ضَخمةٍ ومُزدانةٍ، بِمسَامير كَبيرةِ الحجمِ. لقد تطوّرَتْ حركةُ العُمرانِ في هذِهِ المَدينةِ، وكانَ العامِلُ المُحرّكُ لهذا التَطَوُّرِ هو الحركةُ الاقتصاديّةُ التي كانَ التُّجّارُ العربُ المُسلمونَ دائماً رُوّادَها، ولم يُسهم المعماريين المسلمين في بناء المساجد والبيوت فحسب؛ بل تعدوا ذلك في بناء القصور وأسوار المدن.

كانَ التَأثيرُ العَربيُّ الإسلاميُّ واضِحاً على هذهِ الحَوافِزِ سواءٌ في الجَوانِبِ السِياسيّةِ أو الاجتِماعيّةِ أو العُمرانيّةِ، فقد احتلّتْ الجالِيةُ الغَدامسيةُ بِصِفةٍ خاصّةٍ في تِنبُكتُو أهمّيّةً كَبيرةً. ويَرجِعُ ذلك إلى النَشاطِ التِجاريّ لهذهِ الجالِيةِ، مِما جعلَهم يُشيّدونَ حَيّاً خاصّاً بهِمْ في المَدينةِ (الأحمد، 2001) ، بَعدَ ذلكَ، ونتيجَةً للإرثِ الحضاريّ العُمرانيّ في غَربِ إفريقيّا، أصبحَ الطابِعُ المِعمارِيُّ المَغربيُّ هو السائِدَ في جَميعِ المناطقِ التي دخَلَها هؤلاءِ.

ارتبَطَتْ عاداتُ أهالي تِنبُكتُو من حيثُ الفَنّ المِعماريّ والتقاليدِ الأُخرى بالشمالِ الإفريقيّ، فكانتْ بُيوتهمْ على الطَرازِ المِعماريّ الأندَلُسيّ. إضافةً إلى ذلك، تشبَّهَ حُكّامُهمْ وأفرادُ الشعبِ بالعَربِ في زَيّهمْ وعاداتِهمْ وتقاليدِهمْ (الدالي، 1999).

ب. مدينةُ جَنّى

هي إحدى حواضرِ إفريقيا، تتربّعُ على مِساحةٍ واسعةٍ من الأراضي، منها ما يختص بالمباني السكنية، والآخر مستغل في الزراعة، وتشتملُ مدينةُ جَنّى على العديدَ من المباني والمساجدِ لأداءِ الصلاةِ والتعليمِ، إلى جانبِ الحدائقِ، وهي محاطة بسور كبير به أحد عشر بابًا، وعلى الأبواب حراس (الدالي، 1999). وقدْ ذكَرَ عبدُ الرّحمنِ السّعديُّ أنها بُنِيَتْ في زمنِ الكُفرِ في منتصفِ القرنِ الثاني الهِجريّ، ويقصد هنا عندما كان سكانها وثنيين (1981).

عندما تولّى الملكُ جَنور، أنشَأَ بها أوّلَ سدٍّ لِحفظِ المياهِ (الدالي، 1999). أما "كُنبر"، كما يُسمّيهِ عبدُ الرّحمنِ السّعدي، فقدْ ذكَرَ أنهُ أسلمَ في القرنِ السادسِ الهِجريّ، وبإسلامِهِ أسلمَتِ الرَّعيّةُ بأكمَلِها، ويضيفُ السَّعديُّ أنَّ هذا الملكَ طلبَ من عُلمائِها أنْ يدعوا للمدينةِ بثلاثِ دعواتٍ، إحداها أن تُعمَّرَ على يدِ غيرِ أهلِها أكثرَ من أهلِها (1981). وفي هذا إشارةٌ إلى دورِ المسلمينَ من الدُّعاةِ والتُّجَّارِ في إعمارِ هذه المدينةِ، والواضحُ أنَّ تطوُّرَها العمرانيَّ جاءَ بعدَ أنْ ازدهرتْ اقتصاديًّا وثقافيًّا. لقدْ صبَغَ الإسلامُ هذهِ المدينةَ بصبغتِهِ الواضِحةِ، وكانَ ازدهارُها الاقتصاديُّ سبباً رئيسياً لهذا التأثيرِ.

يُشير حسن الوزان إلى أنَّ هذه المدينة كانت تحكمها أسرةٌ من أصلٍ ليبي، ثم تحوّلت بعد ذلك لتكون تحت حكم سلطان سنغاي سني علي (1983) ، والواضح أن هذه المدينة شهدت تبادلًا تجاريًا مميزًا مع مدن سجلماسة، وغدامس، وولاتة (الدالي، 1999) ، حتى إن السعدي وصفها بأنها "سوقٌ عظيمٌ من أسواق المسلمين" (1981، صفحة 28)

ازدهرت الحياة الثقافية في جني مع بداية القرن السادس عشر، حيث كثرت فيها المدارس، وانتقل إليها العلماء المسلمون، وخاصةً بعد إسلام ملكها "كمبر"، الذي قام بهدم قصره وتحويله إلى مسجد، مما يؤكد عِظَم التأثير الإسلامي على هذه الحاضرة (مباركي و دادة، 1440ه- 1441ه/2019م- 2020م) وقد عُدَّت مساجد مدينة جني من أجمل مساجد السودان الغربي، حيث بُنِيَ بعضها على الطراز المغربي الأندلسي (الغربي، 1982).

ج. جاو:

اتَّخَذَتْها إمبراطوريةُ سُنغاي عاصمةً لها، وذلكَ لاعتدالِ مُناخِها ولِقُربِها مِن منطقةِ كُورى التي كانتْ قَبائلُها مُتحالفةً مع سُنغاي. وقد أُنشِئَتْ قبلَ تِمبُكتُو، وتحدَّثَ عنها البَكريُّ بقَوْلِه: "أهلُها مُسلِمونَ يُحيطُ بهم المُشركونَ، وهي أكثرُ بلادِ السُّودانِ ذهبًا." (1981، صفحة 179)

وقد كانَ يَرتادُ جاو التُّجارُ العَرَبُ من شمالِ إفريقيا ومِصر، وجعلوها مَحطةً تِجاريّةً في عَهدِ مملكةِ مالي، ثم تحوَّلتْ في عَهدِ مملكةِ سُنغاي إلى حاضِرةٍ تُضاهي تِمبُكتُو وجنّى.

والمدينةُ مُقسَّمةٌ إلى أحياءٍ عَرَبيةٍ يَغلبُ عليها الطابِعُ المغربيُّ، وأحياءٍ زَنْجيةٍ لها طابِعٌ خاصٌّ من حيثُ الفنّ المعماريّ. وتَمْتازُ شَوارعُها بالاتِّساعِ، وبها أسواقٌ على جوانبِ الطُّرُقِ وسُوقٌ أُسبوعيٌّ في وَسطِها، مما جعَلَها مركزًا تجاريًّا هامًّا (الدالي، 1999).

لقد حَظِيتْ جاو بمَنزِلةٍ عَظيمةٍ عند التُّجارِ العربِ المسلمينَ الذينَ أسْهَموا إسهامًا كبيرًا في ازدهارِها، خاصّةً من الناحيةِ التِّجاريةِ والعُمرانيةِ، حتى إنَّ اليعقوبيَّ اعتَبَرَها المدينةَ التِّجاريةَ الأولى في وسطِ نهرِ النِّيجر (1966، صفحة 149).

ومن المدن المهمة التي تغلب عليها الطابع الإسلامي مدينةُ السوقِ شرقَ جاو، وقد فتحها القائدُ عُقبةُ بنُ نافعٍ الفِهريُّ، وكانتْ قبلَ ذلكَ تَدِينُ بالوثَنيّةِ. حاولَ عُقبةُ إصلاحَ حالِها، فبَنى بها المساجدَ ومَناراتِ الدِّينِ، مما أسْهَمَ في انتشارِ الإسلامِ في تلكَ المناطقِ. وقد نَزلَ بمدينةِ السوقِ عددٌ من الصَّحابةِ (الدالي، 1999).

2-دورُ المِعْماريينَ العَرَبِ في النَّهضةِ العُمْرانيةِ في إفريقيا

لَمْ تَكُنْ لِلأفارقةِ قَبْلَ وُصُولِ الإسلامِ أيُّ نَهْضةٍ مَعْماريةٍ تُذْكَر، إذْ كانَ البناءُ عندَ الأفارقةِ يُمْلِيهِ الضَّرورةُ فقط، وكانَ البَيْتُ الأفريقيُّ في أرقى صُورِهِ لا يتجاوَزُ البناءَ المصنوعَ مِن الطُّوبِ المُحرَق، وهو نوعٌ مِن البناءِ مَقصورٌ على الأَغْنِياء فقط.

ومعَ دُخولِ الإسلامِ إلى هذهِ المَناطِق، دَخَلَتْ مَعَهُ الحَضارةُ الإسلاميةُ بِكُلِّ أبعادِها المَدَنيَّةِ والثقافيةِ، فظَهَرَ البِناءُ العَرَبيُّ الإسلاميُّ على السَّاحةِ في تِلكَ الأقاليمِ. وقد أصبَحَ الملوكُ والحُكَّامُ يَتَنافَسونَ في جَلْبِ المعمارِيينَ المسلمينَ مِن شِمالِ إفريقيا ومِصر، وبلَغتِ التَّأثيراتُ المِعماريةُ العربيةُ الإسلاميةُ على يد هؤلاء أوجَها معَ اتِّساعِ نُفوذِهم. ومن هؤلاء المعماريين:-

أ. إبراهيمَ السَّاحليَّ الغرناطيَّ

هو أَحَدُ أبرزِ المِعمارِيينَ الذين جَلْبِهم ملوك هذه المناطق والمعروفَ باسمِ أبو إسحاقَ السَّاحليَّ الأندلسيّ. كانَ فَنَّانًا ومُهندسًا وشاعرًا أندلسيًا. وقد رافَقَ السلطان منسا موسَ أثناءَ عَودتِه مِن مَكَّةَ (الأحمد ، 2001) بعد تأديته لفريضة الحج. ولَعِبَ هذا العالِمُ دورًا بارزًا في ازدهارِ العِمارةِ في مدينةِ تمبكتو، حيثُ كانَ مُتَمَيِّزًا في الهندسةِ المعماريةِ الإسلاميةِ، ولا سِيَّما النَّمطَ المغربيَّ الأندلسيَّ (حسن، 1984). وقد وصفَ القلقشنديُّ هذا النَّوعَ المُتَطَوِّرَ مِن البِناءِ الذي أدْخَلَهُ الساحليُّ، وقال: "... وهوَ

يَبنى تَقديرُ نصفِ ذراعٍ بالطينِ، ثم يُتْرَكُ حتى يَجِفَّ، ثم يَبْنَى عليهِ مِثْلُه، وهكذا حتى يَكْمُلَ البناءُ، ويُسقَفُ بالأخشابِ والقصب، وغالِبُ السُّقوفِ قِبابٌ أو جَمْلوناتٌ، وأرضُها تُرابٌ مُرَمَّلٌ" (1963، صفحة 283)

مِنْ أبرزِ إنجازاتِ الساحليّ المعمارية كانَ بناؤُهُ لقَصْرِ السُّلطانِ منسا موس، الذي وصَفَهُ ابنُ خَلْدونَ في كِتابِهِ العِبَر" بأنَّهُ قد استفرغ فيهِ كُلَّ إجادتِهِ وأحكمَ فيه صَنْعَتَه، فخَرَجَ قَصْرًا وقع من السُّلطانِ موقع الاستغرابَ والإعجابَ" (1999، صفحة 215)، وتحدَّثَ الحَسَنُ الوزَّانُ عن هذا القَصْرِ، قائِلًا: "كما أنّ قَصْرًا كبيرً بناه المهندس نفسه، حيثُ يَسكنُ المَلِكُ" (1983، صفحة 172) ، والمهندس الذي يقصده هو إبراهيمَ السَّاحليَّ. وذكرَ ابنُ بطوطة أنَّهُ زارَ هذا القصرَ وشاهدَ قُبتَهُ، وقالَ إنَّ بابَهُا داخلَ قصرِ السلطانِ، وأنَّ السلطانَ يَجلسُ فيها أغلبَ الأوقاتِ (ابن بطوطة، ب ت، صفحة 446).

ومن إسهاماتِ إبراهيمَ الساحليّ الأخرى أنَّهُ بنى مَسجدًا في جاو باستِخدامِ الطُّوبِ المُحَرَق، كما قامَ بتَعليمِ أهلِ المنطقةِ نِظامَ الأسقُفِ للمنازلِ. إضافةً إلى ذلك، بنى مئذنةً هرميةً مميَّزةً لمسجدِ سنكري في تمبكتو (طرخان، 1973).

أكمَلَ الساحليُّ حياتَهُ في مدينةِ تمبكتو، حيثُ تُوفِّي ودُفنَ فيها،وقد أكد وفاته بتمبكتو سنة 747ه/1346م المؤرخ المغربي المَقري (1968).

ب. عبدُ الله الكوميُّ الغدامسيّ

عندما سَلَكَ السلطانُ منّا موسى طريقَ عودتِهِ مِن الحجِّ عَبرَ الأراضي الليبيةِ، مرَّ على مدينةِ غدامس، فاصطحبَ معهُ المهندسَ الليبيَّ عبدَ الله الكوميَّ المُوحديَّ الغدامسيَّ ، الذي كان أحدَ أبرزِ المعماريينَ، حيثُ ساهمَ في تطويرِ بناءِ جامعةِ سنكري، وأصبحَ لاحقًا مُستشارًا للسلطانِ، حيث قامَ الكوميُّ بتشييدِ جامعةِ سنكري على الطِّرازِ المغربيّ الأندلسيّ، مُظهِرًا مَهارةً فائقةً في البناءِ. وقد بقيَ الغدامسيُّ في مدينةِ تمبكتو حتى تُوفِّي فيها، وقبرُهُ موجودٌ في شمالِ المدينةِ (ابن خلدون، 1999).

لقد كانَ للمعماريينَ العربِ المغاربةِ دورٌ كبيرٌ في تخطيطِ مدينتي جاو وجنّى، على نمطِ المدنِ العربيةِ في شمالِ إفريقيا (قداح، 1974). ومِن بَينِ هؤلاءِ المُهندسينَ، يبرزُ المهندسُ معلومُ إدريس المراكشي، الذي عاصرَ الساحليَّ، وتركَ بصمتَهُ في تخطيطِ وتطويرِ هذهِ المدنِ ، وقد عهد إليه السلطان منسا موسى ببناء مدينة جني ، وهو الذي صمم مسجدها وكان لهذا المهندس الفضل في تعليم أهل المدينة بناء منازلهم على الطراز العربي الإسلامي (مبروك، 2008) .

وفي القرنِ التاسعِ الهجريّ، الخامسِ عشرَ الميلاديّ، قامَ المُهندسُ الإفريقيُّ محمد فادي، الذي تَعَلَّمَ فنَّ البناءِ في المغربِ، بتشييدِ المسجدِ الجامعِ في مدينةِ تمبكتو (قداح، 1974) ، مما ساهمَ في تعزيزِ الطِّرازِ المعماريّ الإسلاميّ في المنطقة.

وأخيراً فأنَّ مِنْ خِلالِ هذا البَحثِ، يَتَّضِحُ أنَّ التَّأثيراتِ الإسلاميَّةَ لَعِبَتْ دَوْرًا جَوْهَرِيًّا في حَياةِ المَمالِكِ الإسلاميَّةِ الإفريقيَّةِ جَنوبَ الصَّحراءِ، خاصَّةً في مَجالِ الإعْمارِ. فَقَدْ أَسْهَمَ الإسلامُ في تَعْزيزِ الأَنْماطِ العُمْرانيَّةِ، وإِدْخالِ عَناصِرَ مِعْماريَّةٍ جَديدةٍ مُسْتَوْحاةٍ مِنَ الطُّرُزِ الإسلاميَّةِ التَّقْليديَّةِ. كما كانَ لِلدِّينِ الإسلاميّ أَثَرٌ عَميقٌ في تَنْظيمِ المُدُنِ، وبِناءِ المَساجِدِ، وتَشْييدِ المَراكِزِ العِلْميَّةِ الَّتي أَصْبَحَتْ مَناراتٍ لِلمَعْرِفَةِ والثَّقافَةِ.

إِنَّ دِراسَةَ هذِهِ التَّأثيراتِ تَكْشِفُ عنْ مَدى التَّفاعُلِ الحَضاريّ بَيْنَ العالَمِ الإسلاميّ وإفريقيا جَنوبَ الصَّحراءِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنِ التَّأثيرُ مُقْتَصِرًا على الجانِبِ الدِّينيّ فَحَسْبُ، بَلِ امْتَدَّ لِيَشْمَلَ الجَوانِبَ الاجْتِماعِيَّةَ والاقْتِصادِيَّةَ والثَّقافِيَّةَ. ومِنْ خِلالِ هذَا البَحْثِ، يُمْكِنُ التَّأْكيدُ على أنَّ الإسلامَ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ دِينٍ انْتَشَرَ في المِنْطَقَةِ، بَلْ كانَ قُوَّةً دافِعَةً أَسْهَمَتْ في تَشْكيلِ هُوِيَّةٍ عُمْرانِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ، ما زالَتْ آثارُها قائِمَةً حَتَّى اليَوْمِ.

وبِناءً على ما تَمَّ اسْتِعْراضُهُ، فَإِنَّ فَهْمَ هذِهِ التَّأثيراتِ يُساعِدُ في تَقْديرِ الإرْثِ العُمْرانِيّ الإسلاميّ في إفريقيا، ويَدْعو إلى مَزيدٍ مِنَ الدِّراساتِ المُتَعَمِّقَةِ الَّتي تَسْتَكْشِفُ أَبْعادًا أُخْرَى لِهذَا التَّأثيرِ، مِمَّا يُسْهِمُ في الحِفاظِ على هذَا التُّراثِ وتَعْزيزِ الوَعْيِ بِأَهَمِّيَّتِهِ في السِّياقَيْنِ المَحَلِّيّ والعالَمِيّ.

الخاتمة

في خِتامِ هَذَا البَحثِ، يَتَّضِحُ أنَّ التَّأثِيرَ العَرَبِيَّ الإسلاميَّ على إفْرِيقِيَا فِيمَا وَرَاءَ الصَّحراءِ فِي الجَانِبِ العُمْرَانِيِّ قَدْ أَسْفَرَ عَنْ جُمْلَةٍ مِنَ الحَقَائِقِ الَّتِي تُؤَكِّدُ مَا كُنَّا نَطْرَحُهُ فِي دِرَاسَتِنَا لِهَذِهِ التَّأثِيرَاتِ، وَهُوَ أَنَّ العَرَبَ المُسْلِمِينَ كَانَتْ بَصْمَتُهُمْ وَاضِحَةً وَمُؤَثِّرَةً فِي كَافَّةِ المُجْتَمَعَاتِ الإفْرِيقِيَّةِ. وَيُمْكِنُ عَرْضُ هَذِهِ الحَقَائِقِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

- لَمْ تَكُنْ لِلأَفَارِقَةِ حَضَارَةٌ عُمْرَانِيَّةٌ مُزْدَهِرَةٌ فِي فَتْرَةِ العُصُورِ البَدَائِيَّةِ، أُسْوَةً بِبَاقِي الشُّعُوبِ البَدَائِيَّةِ، فَكَانَ الإنْسَانُ الإفْرِيقِيُّ يَلْجَأُ إِلَى المَأْوَى هَرَبًا مِنَ الظُّرُوفِ الطَّبِيعِيَّةِ.
- حَدَثَ نَوْعٌ مِنَ التَّطَوُّرِ العُمْرَانِيِّ مُوَاكِبًا لِتَطَوُّرِ نِظَامِ الإدَارَةِ وَالحُكْمِ الَّذِي ظَهَرَ فِي المُجْتَمَعَاتِ الإفْرِيقِيَّةِ فِيمَا بَعْدُ.
- كَانَتِ الأُسْطُورَةُ وَالرَّمْزِيَّةُ وَالاعْتِقَادُ بِمَا يَقُولُهُ الكُهَّانُ هِيَ الأُسْلُوبُ المُتَّبَعُ فِي البِنَاءِ عِنْدَ الأَفَارِقَةِ قَبْلَ الإسْلَامِ.
- لَازَمَ وُصُولَ الدَّعْوَةِ الإسْلَامِيَّةِ إِلَى إفْرِيقِيَا وُصُولُ مَظَاهِرَ مِنَ الحَضَارَةِ الإسْلَامِيَّةِ فِي الجَوَانِبِ العُمْرَانِيَّةِ، فَظَهَرَتِ المُدُنُ عَلَى شَاكِلَةِ المُدُنِ الإسْلَامِيَّةِ، وَأَبْدَعَ العَرَبُ فِي نَقْلِ ذَلِكَ التُّرَاثِ الحَضَارِيِّ الإسْلَامِيِّ إِلَى إفْرِيقِيَا، خَاصَّةً بَعْدَ ظُهُورِ المَمَالِكِ الإسْلَامِيَّةِ الإفْرِيقِيَّةِ.
- يُعْتَبَرُ بِنَاءُ المَسَاجِدِ أَهَمَّ التَّأثِيرَاتِ العَرَبِيَّةِ الإسْلَامِيَّةِ عَلَى الأَفَارِقَةِ.
- وَصَلَ عَدَدٌ مِنَ المُهَنْدِسِينَ العَرَبِ المُسْلِمِينَ إِلَى بَعْضِ المَمَالِكِ الإسْلَامِيَّةِ فِي إفْرِيقِيَا، وَسَاهَمُوا فِي النَّهْضَةِ العُمْرَانِيَّةِ فِي هَذِهِ المَمَالِكِ مِنْ خِلَالِ الإشْرَافِ عَلَى بِنَاءِ المَسَاجِدِ، وَالقُصُورِ، وَغَيْرِهَا مِنَ المَرَافِقِ.
- كَانَتْ رِحْلَاتُ الحَجِّ الَّتِي قَامَ بِهَا بَعْضُ مُلُوكِ وَسَلَاطِينِ المَمَالِكِ الإسْلَامِيَّةِ فِي إفْرِيقِيَا ذَاتَ أَثَرٍ بَالِغٍ فِي نَقْلِ التُّرَاثِ العُمْرَانِيِّ الإسْلَامِيِّ إِلَى إفْرِيقِيَا.

وَهَكَذَا نَلْحَظُ أَنَّ التَّأثِيرَ العَرَبِيَّ الإسْلَامِيَّ عَلَى المَمَالِكِ الإفْرِيقِيَّةِ فِي الجَوَانِبِ العُمْرَانِيَّةِ لَمْ يَكُنْ وَلِيدَ خُطَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، بَلْ كَانَ يَتَسَرَّبُ إِلَى الأَفَارِقَةِ عَبْرَ أَنْمَاطِ العُمْرَانِ العَرَبِيِّ الإسْلَامِيِّ الَّتِي دَخَلَتْ إِفْرِيقِيَا؛ نَظَرًا لِأَنَّ الأَفَارِقَةَ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الإسْلَامِ بِاعْتِبَارِهِ دِينَ عَقَائِدَ وَحَضَارَةٍ، وَأَنَّ مُحَاكَاةَ المُسْلِمِينَ فِي العَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ كَانَتْ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي يَفْخَرُ بِهَا الأَفَارِقَةُ.

أَمَّا مَا يُمْكِنُ أَنْ نُوصِيَ بِهِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ، فَهُوَ حَثُّ البَاحِثِينَ عَلَى الدِّرَاسَةِ المُتَخَصِّصَةِ فِي الجَوَانِبِ الحَضَارِيَّةِ العَرَبِيَّةِ الإسْلَامِيَّةِ وَمَدَى تَأثِيرِهَا عَلَى الشُّعُوبِ الإفْرِيقِيَّةِ، فَهُنَاكَ مَادَّةٌ خَصْبَةٌ حَوْلَ المُؤَثِّرَاتِ العَرَبِيَّةِ الإسْلَامِيَّةِ تَحْتَاجُ فَقَطْ إِلَى مَنْ يَسْتَخْرِجُهَا، لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا دَارِسُو التَّارِيخِ فِيمَا بَعْد

المصادر والمراجع

أولا المصادر

- القرأن الكريم

- أبو العباس أحمد المقري. (1968). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، بيروت ،1968م* (الإصدار 2). بيروت.
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي. (1963). *صبح الأعشا في صناعة الإنشا*. القاهرة: المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر(ج4).
- أبو عبد الله البكري. (1981). *المغرب في في ذكر إفريقيا والمغرب*. بغداد: مكتبة المثنى.
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن بطوطة. (ب ت). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (رحلة ابن بطوطة) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ ص446*. بيروت: دار صادر.
- ابي الحسن عبد الله بن المُكرم ابن منظور. (1999). *لسان العرب* . (عبد الله علي الكبير وآخرون، المترجمون) القاهرة: دار المعارف.
- أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي. (1966). *تاريخ اليعقوبي*. بيروت: دار صادر.
- أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني. (1986). *فتح الباري شرح صحيح البخاري* (الإصدار 3). القاهرة: دار الريان للتراث.
- اسماعيل بن محمد الجوهري. (1990). *الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية* (المجلد 4). (أحمد عبد الغفور عطار، المترجمون) بيروت: دار العلم للملايين.
- الحافظ ابي القاسم سليمان الطبراني ج19، ص263. (1977). *المعجم الكبير*. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- الحسن بن علي الوزان. (1983). *وصف إفريقيا*. (محمد حجي ،محمد الأخضر، المترجمون) بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- زكريا بن أحمد القزويني. (1966). *آثار العباد وأخبار البلاد*. بيروت: دار صادر.
- عبد الرحمن بن عبدالله السعدي. (1981). *تاريخ السودان*. باريس.
- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون. (1999). *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*. القاهرة: دار الكتاب المصري.

ثانيا المراجع

- إبراهيم طرخان. (1973). *دولة مالي الإسلامية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الهادي المبروك الدالي. (1999). *مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الأفريقي من القرن 13-15م*. الزاوية: مطبعة الوحدة العربية.
- (2000). *التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء* (المجلد 1). الزاوية: مطابع الوحدة العربية.
- امحمد عبد الستار عثمان. (1981). *المدينة الإسلامية*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والأدب.
- إمحمد مصباح الأحمد. (2001). *تاريخ العلاقات العربية الإفريقية*. بيروت: الملتقى للطباعة والنشر.
- إمطير سعد إمطير. (1996). *التأثير العربي الإسلاميفي السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر* (المجلد 1). بنغازي: دار الرواد.
- أنيس الأبيض. (1994). *بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية* (المجلد 1). طرابلس: جروس برس.
- جميلة التكيتك. (1998). *مملكة سنغاي الأسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير 144493م-1528م* (المجلد 1). طرابلس، ليبيا: دار الكتب الوطنية.
- حسن إبراهيم حسن. (1984). *انتشار الإسلام في قارة إفريقيا*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- (1991). *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي* (الإصدار 2). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- سعد الخادم. (1982). *الفن الشعبي والمعتقدات السحرية*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- شوقي الجمل. (1997). *تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر*. القاهرة: دار الثقافه للنشر والتوزيع.
- عائشة لوبين، و فيروز جعدي. (2014م/2015م). انتشار الإسلام في غرب أفريقيا خلال القرن 5ه-10ه/11م-16م(رسالة ماجستير). البويرة: كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة أكلي محمد او الحاج.
- عبد القادر الريحاوي. (1995). *العمارة في الحضارة الإسلامية*. جدة: مركز النشر العلمي.
- عبد القادر زيادية. (1989). *الحضارة العربية والتأثير الأوروبي*. الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عطية مخزوم. (1998). *دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء*. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.
- عُمَر عَبْدُ الرَّحْمَن الماحي. (1996). *اَلدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، بِنْ عَكْنُونْ، اَلْجَزَائِرُ، 1996م* (المجلد 1). الجزائر: اَلدِّيوَانُ الْوَطَنِيُّ لِلْمَطْبُوعَاتِ الْجَامِعِيَّةِ.
- فاطمة محمد مبروك. (2008). *عمائر إسلامية في إمبراطورية سنغاي ، زمن الأسكيين ، 898ه- 1000ه/1492م-1591م ، أطروحة دكتوراة*. القاهرة: معهد الدراسات الأفريقية.
- محمد الغربي. (1982). *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1 ، مؤسسة الخليج ، بغداد ، 1982م* (الإصدار 1). بغداد: مؤسسة الخليج.
- نجاة مباركي، وهيبة دادة. (1440ه- 1441ه/2019م- 2020م). *الحواضر الإسلامية ودورها في السودان الغربي. حاضرة جني نموذجا، (رسالة جامعية)*. الجزائر: جامعة أدرار.
- نعيم قداح. (1974). *افريقيا الغربية في ظل الاسلام* (المجلد 2). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

.I

Arab Islamic influences on Islamic Africa (sub-Saharan) in the field of architecture

Dr. ALI B R ELHRABI
Faculty Member, Department of History – Faculty of Arts, University of Benghazi
Ali.alharabi9@gmail.com – ali.elhrabi@uob.edu.ly

Key words

Interaction
Urbanism
Islamic Africa
Influences

Abstract

This study examines the impact of Muslims on the Islamic kingdoms of sub-Saharan Africa from an architectural and urban development perspective. The spread of Islam contributed to significant architectural transformations, manifested in the construction of mosques, the planning of cities, and the establishment of educational and religious centers. These developments reflect the interaction between Islamic culture and the local environment, with reference to prominent Islamic figures who played a role in this architectural renaissance.

The research will adopt the historical method by tracing and interpreting events and developments based on reliable historical sources, in order to understand the evolution of urbanism in these kingdoms within their temporal and cultural context.